

Ministry of Higher Education
Diyala University
College of Education/ alasmiei
Department of Quran Sciences and
Islamic Education

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية/ الاصمعي
قسم علوم القرآن
والتربية الإسلامية

طرق الحوار مع الملوك في القرآن الكريم

Ways of dialogue with kings
In the Holy Quran

المدرس المساعد
طه ياس خضير

Assistant Teacher
Taha Yas Khudair

الأستاذ المساعد الدكتور
عماد أموري جليل الزاهدي

Assistant Professor
Emad Amouri Jalil

٢٠١١ م

١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا وحبيبنا أبي القاسم محمد ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، وتابعيهم ومن اتبعهم بإحسان الى يوم الدين .
أما بعد :

فإن الله قد خلق العقول متفاوتة والقناعات والأفهام مختلفة ، فجعل التخاطب والحوار وسيلة من أهم وسائل التواصل بين الناس لتتقارب عقولهم وأفهامهم من بعضهم البعض ، لتقليل الاختلاف والتباعد فيما بينهم ، ولتتوحد العقول والأفكار والأهداف التي من أجلها خلق البشر ، ليعملوا بعقل واحد وأجسام متعددة ما استطاعوا لذلك سبيلا .
وقد عنى القرآن الكريم بالحوار عناية بالغة ، وذلك لأهميته للإقناع الذاتي ، فهو الطريق الأمثل للاقتناع الذي ينبع من أعماق صاحبه ، والاقتناع هو أساس الإيمان الذي لا يمكن أن يفرض فرضاً وإنما ينبع من داخل الإنسان .
ولقد استعمل القرآن الكريم أسلوب الحوار في تقرير الكثير من القضايا ، وترسيخ العقيدة والأفكار السليمة في عقول البشر ، بطرق مختلفة بحسب المواقف التي يقتضيها الحال .

وإن موضوع الحوار في القرآن الكريم قد طُرق كثيراً لما له من أهمية في حياة البشرية ، والحوار في القرآن الكريم له صور عدة منها : حوار الله ﷻ مع الملائكة ، وحوار الله ﷻ مع الرسل والأنبياء ، وحوار الله ﷻ مع الإنسان عموماً ، وحوار الرسل مع أقوامهم ، وتوجد حوارات أخرى كثيرة في القرآن الكريم ، ولكل واحدة منها طرق مختلفة ، وقد قررنا أن نأخذ جزئية من جزئيات الحوار في القرآن الكريم ، وهي :
(طرق الحوار مع الملوك في القرآن الكريم) .

وقد اخترنا هذا الموضوع ليكون مدار بحثنا لأسباب عدة أهمها :

١. كثرة الاختلاف بين الناس في الكثير من المواضيع الكلية والجزئية . فيأتي الحوار ليقرب وجهات النظر ، ومن ثم تقليل فجوة الخلاف والوصول الى وحدة الرأي من خلال طرح الأدلة وإقناع المقابل بالحوار العلمي .
 ٢. التجديد في المعلومات ، فمهما كنت مقتنعاً بمسألة ما ، فإن التباحث فيها من خلال الحوار يؤدي الى ظهور آفاق ونوافذ أخرى لم تكن حاضرة لدينا .
 ٣. دور الحوار لا يقتصر على مسألة واحدة تدور بين اثنين أو أكثر ، ولكن تتعدى الى أبعد من ذلك ، فيكون بين دول وحضارات أخرى يمكن الوصول من خلاله الى تفاهم ضمن الميدان المعرفي ، والفكري .
- وقد قسمنا البحث على : مقدمة ، ومبحثين ، وخاتمة .
- تكلما في المقدمة عن : أهمية الموضوع ، وأهم أسباب اختيارنا له ، وتقسينا له

أما المبحث الأول ، فقد تناولنا فيه تعريف الحوار ، وآدابه .

والمبحث الثاني جعلناه لاستعراض طرق الحوار مع الملوك في القرآن الكريم .

أما الخاتمة ، فقد لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال البحث .

وأخيراً : أسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة دينه ، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا ، وأن ينفعنا وينفع بنا إنه جواد كريم ، وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

(تعريف الحوار ، وآدابه)

* تعريف الحوار :

الحوار في اللغة : الحوار من الحور : وهو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، حار إلى الشيء وعنه حورا ومحارا ومحارة وحؤورا : رجع عنه وإليه ، وفي الحديث : ﴿ ... قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه ﴾ ^(١) ، أي رجع إليه ما نسب إليه . وكل شيء تغير من حال إلى حال ، فقد حار يحور حورا ، وحارت الغصة تحور : انحدرت كأنها رجعت من موضعها ، والتحير ، والحور : الرجوع . وأصل الحور : الرجوع إلى النقص . والحور : النقصان بعد الزيادة ؛ لأنه رجوع من حال إلى حال . وفي المثل : (حور في محارة) ^(٢) ، معناه نقصان في نقصان ورجوع في رجوع ، يضرب للرجل إذا كان أمره يدبر . والمحار : المرجع . والمحارة : المكان الذي يحور أو يحار فيه . والباطل في حور ، أي في نقص ورجوع . والحور : ما تحت الكور من العمامة لأنه رجوع عن تكويرها ، وكلمته فما رجع إلي حوارا وحوارا ومحاورة وحويرا ومحورة ، بضم الحاء ، بوزن مشورة أي جوابا . واستحار الدار : استنطقها ، من الحوار الذي هو الرجوع . والمحارة : الرجوع ، والحورة : الرجعة . والحائر : الراجع من حال كان عليها إلى حال دونها . وأحار عليه جوابه : رده . وسمعت حويرهما وحوارهما . والمحاورة : المجاورة . والتحاور : التجاوب ، واستحاره أي استنطقه . وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام ويتجادلون . والمحاورة : مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة ، وقد حاوره ^(٣) .

(١) صحيح مسلم ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم ، رقم الحديث (١١٢) ٧٩/١

(٢) المستقصى في أمثال العرب ٦٨/٢ ، جمهرة الأمثال ٣٤٧/١ .

(٣) ينظر : كتاب العين ٢٣١/١ مادة (حور) ، الصحاح ٤٧٦/٣ (مادة حور) ، لسان العرب ٤٣٣/٤ (مادة حور) ، القاموس المحيط ٢٧/٢ (مادة حور) ، الفائق في غريب الحديث ٣٢٣/٢ .

الحوار اصطلاحاً : لفظ (الحوار) مصطلح حادث ، لا يحمل حقيقة شرعية تزيد على حقيقته اللغوية . وقد عرفه بعض الكتاب المحدثين بعدة تعريفات اصطلاحية ، نذكر منها التعريفات التالية :

فقد عرفه د. عبد الستار الهيتي بقوله : (أسلوب يجري بين طرفي، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطق وفكره قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره) (١).

وعرفه د. خليل عبد المجيد زيادة بأنه: (عرض لوجهتي نظر، أو هي نوع من توضيح خصائص مختلفة لأمرين) (٢).

وعرفه د. يوسف الحسن: (هو أن يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين، الأفكار، والحقائق والمعلومات والخبرات، التي تزيد من معرفة كل فريق بالآخر بطريقة موضوعية، تبين ما قد يكون بينهما من تلاق أو اختلاف، مع احتفاظ كل طرف بمعتقداته، في جو من الاحترام المتبادل والمعاملة بالتي هي أحسن، بعيداً عن نوازع التشكيك ومقاصد التجريح، بل ما يرجى منه هو إشاعة المودة وروح المسالمة والتفاهم والوئام، والتعاون فيما يقع التوافق فيه من أعمال النفع العام للبشرية) (٣).

والذي يبدو لنا أن التعريف الأول كان أبين وأوضح في الدلالة على المراد من الحوار ، فيكون هو المختار . لأنه عرّف الحوار تعريفاً عاماً يتسع لصور الحوار وأشكاله المتعددة .

وقد وردت كلمة الحوار ثلاث مرات في القرآن الكريم :

١. قال تعالى : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (٤).

(١) الحوار الذات والآخر ، ص ٤٠ .

(٢) الحوار والمناظرة في القرآن الكريم ، ص ١٨ .

(٣) الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات ، ص ١٣ .

(٤) سورة الكهف ، الآية/ ٣٤ .

٢. قال تعالى : ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ (١).

٣. قال تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

* آداب الحوار (٣):

إن من أهم آداب الحوار :

١- حسن القصد من الحوار : وذلك بالإخلاص لله والرغبة في طلب الحق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (٤).

٢- العلم : فلا حوار بلا علم ، والمحاوِر الجاهل يفسد أكثر مما يصلح ، وقد ذم الله ﷻ المجادل بغير علم : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ (٥)، وذم أهل الكتاب لمحاجتهم بغير علم كما في قوله تعالى : ﴿ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبَتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٦).
العلم عام في كافة مواضع الحوار ، فيشمل العلم بالقضية التي جاء بها المحاور وعقيدته وحضارته والعلم بالمحاورين وخلفياتهم وكافة ما يحتاج إليه في الحوار .

(١) سورة الكهف ، الآية/٣٧ .

(٢) سورة المجادلة ن الآية/ ١ .

(٣) ينظر : أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، ص: ١٣ ، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل ١٨٧/١٢ .

(٤) سورة البينة ، الآية/٥ .

(٥) سورة الحج ، الآية/ ٨ .

(٦) سورة آل عمران ، الآية/ ٦٥-٦٦ .

٣- التزام القول الحسن، وتجنب منهج التحدي والإفحام، حيث أن أهم ما يتوجه إليه المحاور التزام الحسن في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١)، ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢). وعلينا أن ننأى بأنفسنا عن أسلوب الطعن والتجريح والهزء والسخرية، وألوان الاحتقار والإثارة والاستفزاز.

٤- التواضع واللين والرفق من المحاور وحسن الاستماع وعدم المقاطعة والعناية بما يقوله المحاور، فهو أدعى للوصول إلى الحقيقة واستمرار الحوار، وهذا ما علمناه القرآن، فقد أمر الله نبيه موسى وأخاه هارون عليهما السلام عند مخاطبة فرعون الذي طغى وتجبر وادعى الألوهية والربوبية، فقال ﷺ: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(٣).

٥- الحلم والصبر، فالمحاور يجب أن يكون حليماً صبوراً، فلا يغضب لأتفه سبب، فإن ذلك يؤدي إلى النفرة منه والابتعاد عنه، والغضب لا يوصل إلى إقناع الخصم وهدايته، وإنما يكون ذلك بالحلم والصبر، والحلم من صفات المؤمنين قال تعالى: ﴿وَالكَافِرِينَ الْغِيَظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤).

ومن أعلى مراتب الصبر والحلم مقابلة الإساءة بالإحسان، فإن ذلك له أثره العظيم على المحاور، وكثير من الذين اهتدوا لم يهتدوا لعلم المحاور واستخدامه أساليب الجدل، وإنما لأدبه وحسن خلقه واحتماله للأذى ومقابلته بالإحسان، وقد نبه الله عز وجل الداعين إليه إلى ذلك الخلق الرفيع وأثره وفضل أصحابه، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ

(١) سورة الإسراء ، الآية/ ٥٣ .

(٢) سورة النحل ، الآية/ ١٢٥ .

(٣) سورة طه ، الآية/ ٤٤ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية/ ١٣٤ .

الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿١﴾

٦- العدل والإنصاف؛ يجب على المحاور أن يكون منصفاً فلا يرد حقاً، بل عليه أن يبدي إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة والمعلومات الجديدة التي يوردها محاوره وهذا الإنصاف له أثره العظيم لقبول الحق، كما تضيء على المحاور روح الموضوعية.

المبحث الثاني

(طرق الحوار مع الملوك في القرآن الكريم)

أولاً : محادثة ابراهيم عليه السلام للنمرود :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢).

استعمل إبراهيم عليه السلام في هذا السياق من المحادثة الأسئلة التي لا يمكن الإجابة عنها إلا بالحقيقة الدامغة الثابتة التي لا تقبل الخط ، فهو بهذا لم يشتم ألهمت ، ولم يذكرها بسوء ، ولكن عن طريق الإيحاء أنّ هذه الأصنام لا يمكن عبادتها والتوكل عليها لأنها لا تملك لغيرها ولا حتى لنفسها شيء .

فقد جادل ابراهيم عليه السلام الملك الذي أعطاه الله الملك فتجبر ، في توحيد الله تعالى وربوبيته ، فسأل النمرود إبراهيم ، فقال له : من ربك الذي تدعوننا إليه ؟ فأجابه بأسلوب بسيط ومباشر ، فقال عليه السلام : ربي الذي يحيي الخلائق فتحيا ، ويسلبها الحياة فتموت ،

(١) سورة فصلت ، الآية/٣٣-٣٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية/٢٥٨ .

فهو المتفرد بالإحياء والإماتة، والإحياء والإماتة هما الظاهرتان المكررتان في كل لحظة، المعروضتان لحس الإنسان وعقله. وهما - في الوقت نفسه - السر الذي يحير، والذي يلجئ الإدراك البشري إلهاءً إلى مصدر آخر غير بشري. وإلى أمر آخر غير أمر المخاليق. ولا بد من الالتجاء إلى الإلهية القادرة على الإنشاء والإفناء لحل هذا اللغز الذي يعجز عنه كل الأحياء. فقال النمرود: أنا أحيي وأميت، أي أقتل مَنْ أردتُ قَتْلَهُ، وأستبقي مَنْ أردت استبقاءه، فدل هذا الجواب على غباء النمرود غباءً شديداً ، عند ذلك لم يرد إبراهيم عليه السلام أن يسترسل في الجدل حول معنى الإحياء والإماتة مع رجل يماري ويداور في تلك الحقيقة الهائلة. حقيقة منح الحياة وسلبها. هذا السر الذي لم تدرك منه البشرية حتى اليوم شيئاً . وعندئذ عدل عن هذه السنة الكونية الخفية، إلى سنة أخرى ظاهرة مرئية؛ وعدل عن طريقة العرض المجرد للسنة الكونية والصفة الإلهية في قوله : (ربي الذي يحيي ويميت) ، فقال له إبراهيم عليه السلام : إن الله الذي أعبدته يأتي بالشمس من المشرق، فهل تستطيع تغيير هذه السنَّة الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب؛ فتحير هذا الكافر وانقطعت حجته، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب ^(١). وهكذا لم يستعرض هذا النبي عليه السلام الملهم المؤيد من خالق الكون كثيراً في كل فقرة لأنه يعرف أن الذي يحاوره لا يمكن أن يتنازل عن العرش ، ولكنه بذكائه ينتقل الى فقرة تلو الأخرى كي يقيم عليه الحجة ومن هو يسمع من القوم الذين معه . وهو شأن كل محاور يريد إعلاء كلمة الحق ، فهو لم يترك دليل ولا برهان إلا أن ألقاه على محاوره كي لا يترك له حجة يوم القيامة أمام الخالق الديان .

ثانياً : محاوره يوسف عليه السلام مع ملك مصر :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْنِسُ بِيهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢).

(١) ينظر : الكشف ٢٢٩/١ ، تفسير الرازي ٤٦١/٣ ، تفسير ابن كثير ٦٨٦/١ ، فتح القدير ٣٧٥/١ ، في ظلال القرآن ٢٧٦/١ .

(٢) سورة يوسف ، الآيات / ٥٤-٥٥ .

هنا صورة أخرى من المحاورة بين شخص كان سجيناً ومتهماً وبين ملك مصر ،
إنه الحوار المبني على الثقة بالنفس ، لا يطلب الخروج من السجن ، وإنما يريد الشهادة
من النسوة وإعلان براءته أمام الملأ ، ثم من خلال هذا الثبات والذكاء وأسلوب
المحاورة .

يقول الله تعالى إخباراً عن الملك حين تحقق براءة يوسف عليه السلام ، ونزاهة عرضه
مما نسب إليه ، قال : ائتوني به أجعله من خاصتي وأهل مشورتي ، فجاءه الرسول
وقال : أجب الملك ، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم ، ثم اغتسل ، ولبس ثياباً حسنة
ودخل عليه ، فلما خاطبه الملك وعرفه ، ورأى فضله وبراعته ، وعلم ما هو عليه من
خُلُقٍ وخُلُقٍ وكَمال ، قال له الملك : إنك عندنا قد بقيت ذا مكانة وأمانة على أمرنا ،
فماذا ترى أن نفعل ؟ قال : اجمع الطعام وازرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة
وادخر الطعام في سنبله ، فتأتي إليك الخلق ليمتاروا منك ، فقال : ومن لي بهذا ؟ .

وبعد هذا التكريم من الملك ، والحضوة التي حصل عليها ، ماذا قال يوسف؟
إنه لم يسجد شكراً كما يسجد رجال الحاشية المتملقون للطواغيت. ولم يقل له: عشت يا
مولاي ، وأنا عبدك الخاضع أو خادمك الأمين، كما يقول المتملقون للطواغيت ، كلا
إنما طالب بما يعتقد أنه قادر على أن ينهض به من الأعباء في الأزمنة القادمة التي
أول بها رؤيا الملك ، خيراً مما ينهض بها أحد في البلاد؛ وبما يعتقد أنه سيصون به
أرواحاً من الموت وبلاداً من الخراب، ومجتمعاً من الفتنة - فتنة الجوع - ، فكان قويا
في إدراكه لحاجة الموقف إلى خبرته وكفايته وأمانته، قوته في الاحتفاظ بكرامته ، فقال
له يوسف عليه السلام : اجعلني على خزائن الأرض إني خازن أمين ، ذو علم وبصر بما
أتولاه . وإنما سأل أن يجعل على خزائن الأرض ، وهي الأهرام التي يجمع فيها الغلات
، لما يستقبلونه من السنين التي أخبرهم بشأنها ، ليتصرف لهم على الوجه الأحوط
والأصلح والأرشد ، فأجيب إلى ذلك رغبةً فيه ، وتكرمةً له . وقد ذكر يوسف عليه السلام من
صفاته ما تحتاج إليه المهمة التي يرى أنه أقدر عليها، وأن وراءها خيراً كبيراً لشعب
مصر وللشعوب المجاورة .

ولم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض . إنما كان حصيفاً في اختيار اللحظة التي يستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الضخمة في أشد أوقات الأزمة ؛ وليكون مسؤولاً عن إطعام شعب كامل وشعوب كذلك تجاوزه طوال سبع سنوات، لا زرع فيها ولا ضرع . فليس هذا مغنماً يطلبه يوسف عليه السلام لنفسه. فإن التكفل بإطعام شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد إنه غنيمة. إنما هي تبعة يهرب منها الرجال، لأنها قد تكلفهم رؤوسهم ، والجوع كافر ، وقد تمزق الجماهير الجائعة أجسادهم في لحظات الكفر والجنون (١).

ثالثاً : محاورة موسى عليه السلام لفرعون :

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ، حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (٢).

وهنا نأخذ نموذجاً واحداً من حوارات موسى عليه السلام مع فرعون ، والتي وردت في القرآن الكريم . حيث بدأ الحوار بين طرفين ، بين الخير والشر ولم يستتفد نبي الله موسى عليه السلام من محاورة الطاغية المتجبر ، ولم يقل في نفسه إني نبي ورسول مبعوث ومؤيد من قبل ملك الملوك ، فكيف أنظر من هو أقل شأنًا مني ؟ وإنما بدأ بالحوار وعرض أدلته لإقناع خصومه بالحجة والبرهان .

حيث يخبر الله تعالى عن مناظرة موسى عليه السلام لفرعون وإجابه إياه بالحجة وإظهاره الآيات البينات بحضرة فرعون وقومه من قبط مصر ، فبدأ بتقرير حقيقة كونية ثابتة لا تتغير ، فقال له : أرسلني الذي هو خالق كل شيء وربّه ومليكه . ولم يقل له : يا

(١) ينظر : تفسير الطبري ٤٣٢/٥ ، الكشاف ١٨٤/٣ ، تفسير ابن كثير ٦٨٦/١ ، تفسير البضاوي ٢٨٩/١ ، في ظلال القرآن ٢٧٦/١ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات ١٠٤-١٠٥ .

مولاي ، كما يقول الذين لا يعرفون من هو المولى الحق ، ولكن ناداه بلقبه في أدب واعتزاز . ناداه ليقرر له حقيقة أمره ، كما يقرر له أضخم حقائق الوجود : ﴿ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . ثم قرر موسى ﷺ حقيقة ما جاء به ، ودعوته التي يجب أن يبلغها الى البشرية في تلك الفترة : ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ، أي جدير بأن لا أقول على الله إلا الحق ، وحرى بي أن ألتزمه ، قد جئكم ببرهان وحجة باهرة من ربكم تدلكم على صدق قلبي : إني رسول من رب العالمين ، فأطلقهم يا فرعون من أسرك وقهرك ، ودعهم وعبادة ربك وربهم ، فإنهم من سلالة نبي كريم إسرائيل ، وهو : يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الله ﷺ . وبعد هذا القول من موسى ﷺ لفرعون ، جاء الرد منه : ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١).

فكان قول فرعون : لست بمصدقك فيما قلت ، ولا بمطيعك فيما طلبت ، فإن كانت حجة فأظهرها لنراها ، إن كنت صادقاً فيما ادعيت . كان رد موسى هذه المرة مختلفاً عن سابقه فلم يكن رده بالكلام ، فجاء رده بالعمل ليجعل الصورة تتكلم بدلا عنه : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ، وَنَزَعِيْدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (٢).

هذه هي البينتان اللتان جاء بهما موسى ﷺ : العصا التي تحولت الى حية عظيمة فاخرة فاها ، مسرعة الى فرعون ، فلما رأى فرعون أنها قاصدة إليه ، اقتحم عن سريره ، واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل . ويده السمراء - وقد كان موسى ﷺ

(١) سورة الأعراف ، الآية/ ١٠٦ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية/ ١٠٧-١٠٨ .

مائلاً إلى السمرة - يخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء ، بيضاء تتلألأ ليست عن مرض ، ولكنها المعجزة ، فإذا أعادها إلى جيبه عادت سمراء (١).

وهذا يدل على صدق نبوته ودعوته الى الله ﷻ ، فجاءت البينة والآية على الدعوى التي جاء بها موسى عليه السلام إني رسول من رب العالمين ، وإذا اتضح أن هذا الداعية إلى ربوبية رب العالمين كاذب في دعواه ، سقطت دعوته ، وهان أمره ، ولم يعد لهذه الدعوة الخطيرة من خطر ، وصاحبها دعي لا بينة عنده ولا دليل . وهذا محال مع موسى عليه السلام .

رابعاً : حوار السحرة مع فرعون :

كان لحوار السحرة مع فرعون طريقتين مختلفتين في مرحلتين مختلفتين ، طريقة قبل إيمانهم ، وطريقة بعد إيمانهم .
- الحوار مع فرعون قبل إيمانهم :

قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ، قَالَ نَعَمْ وَإِنِّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٢).

الحوار هنا ليس لإعلاء كلمة الحق ، وإنما هو حب الدنيا والانقطاع عن السماء في العلو والرفعة الى الخضوع الى الأرض والذلة والمهانة . هو حوار المصلحة الذاتية وتقديمتها على العقيدة والمبادئ .

يخبر الله ﷻ عما تشارط عليه فرعون والسحرة الذين استدعاهم لمعارضة موسى عليه السلام ، حيث قالوا : أئن لنا لجائزة ومالاً إن غلبنا موسى ؟ . قال فرعون : نعم لكم الأجر والقرب مني إن غلبتموه . السحرة محترفون في عمل السحر ، كما يحترفون الكهانة ، والأجر هو هدف الاحتراف في هذا وذاك ، والطاغوت بحاجة إلى هؤلاء المحترفين ، وقد كافأهم على الاحتراف ، وتبادل وإياهم الصفقة : هم يقرون سلطانه

(١) ينظر : تفسير الطبري ١٣/١٣ ، تفسير الرازي ٢٠٠/٧ ، البحر المحيط ٣٩٧/٥ ، فتح القدير ٧١/٣ ، في ظلال القرآن ٢٦٧/٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات ١١٣-١١٤ .

باسم الدين ، وهو يعطيهم المال ويجعلهم من المقربين . ولقد أكد لهم فرعون أنهم مأجورون على حرفتهم ، ووعدهم مع الأجر القريب منه ، زيادة في الإغراء ، وتشجيعاً على بذل غاية الجهد . وهو وهم لا يعلمون أن الموقف ليس موقف الاحتراف والبراعة والتضليل ، إنما هو موقف المعجزة والرسالة والاتصال بالقوة القاهرة ، التي لا يقف لها الساحرون ولا المتجبرون (١).

فكان حوارهم مبنياً على المصلحة البحتة ، طمعا منهم بالمال ، وطمعا منه بالنصرة وتقرير سلطانه وجبروته وسطوته . فكان حوارهم حواراً معتمداً على الإمكانات البشرية البحتة ، فهو يملك قوة المال ، وهم يملكون قوة السحر ، وهما القوتان الأكبر في تلك الفترة عند البشر ، وكلتا هما أصغر وأحق شيء من مخلوقات الله ﷻ ، ويستحيل أن يقفا أمام قوة الباري ﷻ وقدرته العظيمة .

- الحوار مع فرعون بعد إيمانهم :

قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ، قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومٌ فِي الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ، لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ، قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُتَقَلِّبُونَ ، وَمَا نَنفَعُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَقَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

الصورة الثانية من الحوار ، حوار من أجل الحق ، حوار الارتباط بالسماء والرفعة ، جاء بعد أن تأكدوا بالبرهان القاطع العلمي الذي لا تخالطه شبهة مع أكبر طاغية عرف في زمانه .

(١) ينظر : تفسير الرازي ٢٠٨/٧ ، تفسير البيضاوي ٣٠٠/٢ ، تفسير الألوسي ٢٩٠/٦ ، في ظلال القرآن ٢٦٥/٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآيات / ١٢٠-١٢٦ .

فبعد أن رأى السحرة الموقف الرهيب الذي لم يتوقعوه ، والذي لم يكن من فعل البشر ، فكانت عصا موسى عليه السلام التي تحولت الى حية حقيقية ، فجعلت لا تمر بشيء من حبالهم ولا من خُشبهم إلا التقمته ، فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء ، وليس هذا بسحر ، فخرّوا سجداً ، وآمنوا برب العالمين . إنها صولة الحق في الضمائر . ونور الحق في المشاعر ، ولمسة الحق للقلوب المهيأة لتلقي الحق والنور واليقين . إن السحرة هم أعلم الناس بحقيقة فنّهم ، ومدى ما يمكن أن يبلغ إليه . وهم أعرف الناس بالذي جاء به موسى عليه السلام إن كان من السحر والبشر ، أم من القدرة التي وراء مقدور البشر والسحر . والعالم في فنه هو أكثر الناس استعداداً للتسليم بالحقيقة فيه حين تتكشف له ، لأنه أقرب إدراكاً لهذه الحقيقة ، ممن لا يعرفون في هذا الفن إلا القشور . ومن هنا تحول السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق ، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين . ثم هزت فرعون المفاجأة الخطيرة التي تزلزل العرش من تحته ، مفاجأة استسلام السحرة - وهم من كهنة المعابد - لرب العالمين ، رب موسى وهارون . بعد أن كانوا مجموعين لإبطال دعوة موسى وهارون . فكانت ردة فعله أن قال : إن غلبه لكم في يومكم هذا إنما كان عن تشاور منكم ورضا منكم لذلك ، كقوله في الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ ^(١) . وهو يعلم وكل من له لب أن هذا الذي قاله من أبطل الباطل ، فإن موسى عليه السلام بمجرد ما جاء من (مدين) ^(٢) دعا فرعون الى الله . فقال فرعون للسحرة : آمنتم بالله قبل أن آذن لكم بالإيمان به ؟ إن إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى وإقراركم بنبوته لحيلة احتلتموها أنتم وموسى ، لتخرجوا أهل مدينتكم منها ، وتكونوا المستأثرين بخيراتها ، فسوف تعلمون - أيها السحرة - ما يحلّ بكم من العذاب والنكال . لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف : بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى

(١) سورة طه ، الآية/٧٠ .

(٢) مدين : مدينة بالشام على ساحل بحر القلزم ، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب عليه السلام ، ويحكى أنها بئر معطلة ، وسميت مدين بالقبيلة التي كان منها شعيب عليه السلام ، ومدين الذي سميت به البلدة هو مدين بن إبراهيم عليه السلام . ينظر : معجم البلدان ٧٧/٥ ، الروض المعطار ١/٥٢٥ .

، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى ، ثم لأعلقتكم جميعاً على جذوع النخل ، تنكيلاً بكم وإرهاباً للناس . فجاء الجواب من السحرة المؤمنين الصادقين لقد تحققنا أنا إلى الله راجعون ، وعذابه أشد من عذابك يا فرعون ، ونكاله فيما تدعوننا إليه ، وما أكرهتنا عليه من السحر ، أعظم من نكالك ، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله ، لما قالوا : ربنا عمنا بالصبر على دينك ، والثبات عليه ، وتوفنا متابعين لنبيك موسى ﷺ . إنه موقف من المواقف الحاسمة في تاريخ البشرية . هذا الذي كان بين فرعون وملئه ، والمؤمنين من السحرة السابقين . إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية . بانتصار العقيدة على الحياة . وانتصار العزيمة على الألم ، وانتصار الإنسان على الشيطان المتمثل بفرعون (١).

خامساً : محاورة الخصمان لداود النبي الملك ﷺ :

قال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَاُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتْنَاهُ فَاستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾ (٢).

هنا يتبين أن الحوار يوصل الى الحقيقة ، وخاصة بالحكم في مسألة معينة ، وعدم السماع الى المحاور والتسرع بالحكم قد ينتج عنه حكم متسرع ، وهنا ما وقع به النبي داود ﷺ .

(١) ينظر : تفسير الطبري ٣٢/١٣ ، تفسير ابن كثير ٤٥٧/٣ ، فتح القدير ٧٤/٣ ، في ظلال القرآن ٢٧١/٣ .

(٢) سورة ص ، الآيات / ٢١-٢٥ .

وبدأ الحوار عندما كان داود عليه السلام في محرابه ، وهو أشرف مكان في داره ، وكان قد أمر ألا يدخل عليه أحد ذلك اليوم ، فلم يشعر إلا بشخصين قد تسوروا عليه المحراب ، أي : احتاطا به يسألانه عن شأنهما ، فارتاع من دخولهما عليه . قالوا له : لا تَحَفْ ، فنحن خصمان ظلم أحدهما الآخر ، فاقض بيننا بالعدل ، ولا تَجُرْ علينا في الحكم ، وأرشدنا إلى سواء السبيل . قال أحدهما : إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج ، وليس عندي إلا نعجة واحدة ، فطمع فيها ، وقال : أعطينها ، وغلبنى بحجته . ومن ثم اندفع داود يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة ، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثاً ، ولم يطلب إليه بياناً ، ولم يسمع له حجة . ولكنه مضى يحكم ، قال داود : لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض ، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه من نفسه إلا المؤمنين الصالحين ، فلا يبغي بعضهم على بعض ، وهم قليل . وأيقن داود أننا فتنناه بهذه الخصومة ، فاستغفر ربه ، وسجد تقرباً لله ، ورجع إليه وتاب . وبيان هذه الفتنة أن داود النبي الملك عليه السلام ، كان يخصص بعض وقته للتصرف في شؤون الملك ، وللقضاء بين الناس . ويخصص البعض الآخر للخلوة والعبادة وترتيل أناشيده تسبيحاً لله في المحراب . وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس . وفي ذات يوم فوجىء بشخصين يتسوران المحراب المغلق عليه . ففزع منهم . فما يتسور المحراب هكذا مؤمن ولا أمين ! فبادرا يطمئنانه . ويبدو أنه عند هذه المرحلة اختفى عنه الرجلان : فقد كانا ملكين جاءا للامتحان ، امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر الناس ، ليقضي بينهم بالحق والعدل ، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم . وقد اختارا أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة . ولكن القاضي عليه ألا يستثار ، وعليه ألا يتعجل . وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد . قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته ، فقد يتغير وجه المسألة كله ، أو بعضه ، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعاً أو كاذباً أو ناقصاً ^(١) .

(١) ينظر : تفسير الطبري ١٧٧/٢١ ، تفسير ابن كثير ٦٠/٧ ، تفسير الألوسي ٣١٥/١٧ ، في ظلال القرآن

سادساً : كلام الهدد مع النبي الملك سليمان ﷺ :

قال تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينُ ،
إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ،
أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ، اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (١) .

بدأ الهدد حديثه مع نبي الله الملك سليمان ﷺ بمفاجأة تطغى على موضوع غيبته ، وتضمن إصغاء الملك له ؛ لأنه يعرف حزم الملك وشدته ، وقد توعدده الملك سليمان ﷺ بالعقوبة حيث قال تعالى على لسانه : ﴿ وَنَقَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴾ (٢) . وكان الهدد يرى الماء تحت الأرض ، ويدل عليه بنقره فيها فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان ﷺ إليه للصلاة ، وكان قد غاب مدة يسيرة من الزمن ، ثم حضر للملك سليمان ﷺ متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه ، ثم قال الهدد : أحطت بما لم تحط به ، وجئتك من سبأ بنباً يقين . فقد استقر الملك بهذه المقولة التي تعبر عن جهله في قضية يعلمها هدد ، فأى ملك لا يستمع وأحد رعاياه يقول له : (أحطت بما لم تحط به) . فإذا ضمن إصغاء الملك بعد هذه المفاجأة أخذ في تفصيل النبا اليقين الذي جاء به من سبأ (٣) :

(١) سورة النمل ، الآيات / ٢٢-٢٦ .

(٢) سورة النمل ، الآيات / ٢٠-٢١ .

(٣) سبأ : أرض باليمن مدينتها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام ، وهي مدينة بلقيس صاحبة سليمان ﷺ المذكورة في القرآن ، وبها طوائف من اليمن من أهل عمان ، وبها كان السد الذي خرقة سيل العرم المذكور في القرآن . وسميت هذه الأرض بهذا الاسم ؛ لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان اسم سبأ عامراً وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبى السبي . ينظر : معجم البلدان ٣/ ١٨١ ، الروض المعطار ١/ ٣٠٢ .

فذكر أنه وجد امرأة تحكمهم وهي (بلقيس) ، وقد أوتيت من كل شيء ، وهي كناية عن عظمة ملكها وراثتها ، وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع . ولها سرير ملك فخم ضخم ، يدل على الغنى والترف وارتقاء الصناعة . وذكر أنه وجد الملكة وقومها يسجدون للشمس من دون الله . وهنا يعلل ضلال القوم بأن الشيطان زين لهم أعمالهم ، فأضلهم ، فهم لا يهتدون إلى عبادة الله العليم الخبير الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ، والخبء المخبوء إجمالاً سواء أكان هو مطر السماء ونبات الأرض ، أم كان هو أسرار السماوات والأرض . وهي كناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض ، (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) ، وهي مقابلة للخبء في السماوات والأرض بالخبء في أطواء النفس . ما ظهر منه وما بطن . والهدهد إلى هذه اللحظة يقف موقف المذنب ، الذي لم يقض الملك في أمره بعد ؛ فهو يلح في ختام النبأ الذي يقصه ، إلى الله الملك القهار ، رب الجميع ، صاحب العرش العظيم ، الذي لا تقاس إليه عروش البشر . ذلك كي يطمأن الملك من عظمتة الإنسانية أمام هذه العظمة الإلهية (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) ، فيلمس قلب سليمان عليه السلام في سياق التعقيب على صنع الملكة وقومها هذه الإشارة الخفية ^(١).

وهنا يظهر ذكاء الهدهد في عرض الموضوع أثناء محاورته للملك بجلب انتباهه من خلال البداية الشديدة ، يبدأ بسرد الموضوع من خلال الذنب العظيم الذي ارتكبه هؤلاء القوم . وهنا صورة جميلة في أدب الحوار ، حيث وضح الهدهد أنّ هذا الذنب العظيم . وهو السجود لغير الله . لم يكن مقصوداً منهم ولكنه إغواء من الشيطان .

ثم صورة أخرى من أدب الحوار ، أنّ الهدهد لم يدافع عن نفسه بتأنيب الملك بصورة مباشرة ، كأن يقول للملك أنّ فوقك من هو أعظم منك ، ولكن ذكرها بطريقة إيحائية ، وذلك عن طريق تبيان عظمة رب الأرباب : ﴿ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ . وهنا تظهر حكمة الملك ورجاحة عقله وحسن تدبيره ، فلا يتسرع في تصديقه

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ١٨٦/٦ ، تفسير البيضاوي ٤٣٤/٤ ، تفسير الألوسي ٤٤٩/١٤ ، في ظلال القرآن

أو تكذيبه ؛ ولا يستخفه النبأ العظيم الذي جاءه به . ولم يقاطعه أو يصادر حقه في التعبير والكلام في تبرير غيابه ، إنما أخذ يسمعه بهدوء ، ويأخذ في تجربته ، للتأكد من صحة ما جاء به ، فهو النبي العادل والملك الحازم عليه السلام .

سابعاً : حوار الرعية مع ملكتهم بلقيس (ملكة سبأ) :

قال تعالى : ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (١).

هنا طريقة في الحوار تؤدي الى كيفية اقناع المقابل ، وذلك من خلال إظهار الاحترام له في إبداء الرأي ، ثم ترك الأمر له في الاختيار .

فبعد أن سألت الملكة بلقيس حاشيتها بعد مجيء كتاب النبي سليمان عليه السلام إليها قرأت عليهم الكتاب واستشارتهم في أمرها ، وما قد نزل بها ؛ فقالت : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِي ﴾ (٢)، أي : حتى تحضرون وتشيرون . وعلى عادة رجال الحاشية أبدوا استعدادهم للعمل . ولكنهم فوضوا للملكة الرأي ، حيث قالوا مجيبين لها : نحن أصحاب قوة في العدد والعدة وأصحاب النجدة والشجاعة في شدة الحرب ، والأمر موكل إليك ، وأنت صاحبة الرأي ، فتألمي ماذا تأمرينا به ؟ فنحن سامعون لأمرك ، مطيعون لك . حيث بينوا قوتهم وكثرتهم وهم الأوفر حظاً من خلال نظرتهم الضيقة (٣).

ثامناً : محاورة القوم مع الملك ذي القرنين :

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ، قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّا يَا جُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ

(١) سورة النمل ، الآية/ ٣٣ .

(٢) سورة النمل ، الآية ٣٢ .

(٣) ينظر : تفسير الطبري ٤٥٣/١٩ ، تفسير ابن كثير ١٨٩/٦ ، تفسير الألوسي ٤٧٠/١٤ ، في ظلال القرآن

٣٨٢/٥ .

خَرُجَا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ، قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿١﴾ .

وهنا خاطب القوم ذا القرنين وحاوروه في أمر خطير وكبير ، فكان لديهم طلب من أمر خطير يوشك أن يقضي عليهم ، طلبوا من ذي القرنين بناء حاجز يمنع العدو من الهجوم عليهم ، ولكنهم لا يملكون الخبرة . وعرضوا قضيتهم للملك وأسهبوا في سرد صفات قوم يأجوج ومأجوج من الظلم والطغيان كي يميلوا قلب ذلك الملك ، ثم عرضوا عليه الأجر مقابل ذلك . وقد بدأ الحوار بينهم عندما وصل ذو القرنين إلى ما بين الجبلين الحاجزين لما وراءهما ، وهما جبلان متاوجان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك ، فيعيثون فيهم فساداً ، ويهلكون الحرث والنسل ، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام ، كما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ يَقُولُ اللَّهُ ﻋَزَّ وَجَلَّ يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبِيكَ وَسَعْدِيكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . قَالَ : يَقُولُ : أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ . قَالَ : وَمَا بَعَثَ النَّارَ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ . قَالَ : فِذَاكَ حِينَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ . قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيْنَا ذَلِكَ الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ : أَبْشُرُوا فَإِنَّ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفًا وَمِنْكُمْ رَجُلٌ ... الْحَدِيثُ ﴿٢﴾ .

وقد وجد من دونهما قومًا ، لا يكادون يعرفون كلام غيرهم . وعندما وجدوه فاتحا قويا ، وتوسموا فيه القدرة والصلاح ، قالوا : يا ذا القرنين ، إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ - وهما أُمَّتَانِ عَظِيمَتَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ - مَفْسُدُونَ فِي الْأَرْضِ بِإِهْلَاكِ الْحَرِثِ وَالنَّسْلِ ، فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ أَجْرًا ، وَنَجْمَعُ لَكَ مَا لَا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ حَاجِزًا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؟ قَالَ ذُو

(١) سورة الكهف ، الآيات ٩٣-٩٥ .

(٢) صحيح البخاري ، باب : (قوله ﻋَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾) ، رقم الحديث : ٦١٦٥ ، ٢٣٩٢/٥ ، صحيح مسلم ، باب قوله : (يقول الله لأدم أخرج بعت النار من كل ألف تسمائة وتسعة وتسعين) ، رقم الحديث : ٥٥٤ ، ١٣٩/١ .

القرنين بعفة وديانة وصلاح وقصد للخير : ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي من مالكم، فأعينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدًا. أعطوني قطع الحديد، حتى إذا جاؤوا به ووضعوه وحاذوا به جانبي الجبلين، قال للعمال: أجبوا النار، حتى إذا صار الحديد كله نازًا، قال: أعطوني نحاسًا أفرغه عليه. فما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته، وما استطاعوا أن ينقبوه من أسفله لبعد عرضه وقوته. قال ذو القرنين : هذا الذي بنيته حاجزًا عن فساد يأجوج ومأجوج رحمة من ربي بالناس، فإذا جاء وعد ربي بخروج يأجوج ومأجوج جعله دكاء منهدمًا مستويًا بالأرض، وكان وعد ربي حقًا^(١).

❖ الخاتمة ❖

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده ، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ﷺ ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين ، وأترضى عن آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين .
أما بعد :

ففي ختام هذا البحث توصلنا الى نتائج أهمها :

١. إن الحوار هو أحد أفضل السبل لنشر العقيدة الاسلامية والأفكار الصحيحة ، وبناء العقل البشري المتكامل .
٢. يعتبر الحوار أحد أفضل أسباب الوصول الى الحق ، ومعلوم أن الحق واحد ولكن طرق الوصول إليه متعددة .
٣. الحوار ترويض للنفس على تقبل الرأي الآخر وكتبها من الجموح المتعالي على الآخرين ، فهي رياضة تصقل الروح وتربّيها على التواضع والاحترام للأدنى والأعلى .

(١) ينظر : تفسير الرازي ٢٥٠/١٠ ، تفسير ابن كثير ١٩٥/٥ ، تفسير الآلوسي ٤٠٤/١١ ، في ظلال القرآن

٤. إن في الحوار التعود على القول الحسن وعدم سماع القابل كلمات غير لائقة أو يفهم أن المحاور الأول أفضل منه ، فالحوار يبدأ بالقضايا المتفق عليها ، أو البدء بالقضايا السهلة .

٥. إن في معرفة طرق الحوار مع الملوك وآدابها تربيةً للأنسان وتعليماً له في كيفية الحوار مع الرؤساء ، وأولي الأمر ، والأكبر مرتبة .

وأخيراً وليس آخراً : فهذا آخر ما فتح الله علينا به في الكتابة في هذا الموضوع ، فلعلنا وفقنا في بعض مواضيعه ومحاوره ، فهذا من فضل الله وحسن توفيقه ومعونته ، ونسأل الله تعالى أن يتقبله منا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة ، وأن ينفعنا وينفع بنا ، وأن يوفقنا لخدمة دينه وقرانه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

﴿ المصادر والمراجع ﴾

- بعد القرآن الكريم .

١. أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، صالح بن عبد الله بن حميد ، دراسة موجزة منشورة على موقع مكتبة صيد الفوائد الإسلامية ، بتاريخ ١٢/٨/١٤٢٤ هـ .
٢. البحر المحيط ، للشيخ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي الغرناطي (ت ٧٥٤ هـ) ، دار الفكر ، ط ٢ سنة : ١٣٩٨ هـ . ١٩٧٨ م .
٣. تفسير ابن كثير المسمى (تفسير القرآن العظيم) ، للإمام الحافظ عماد الدين أبي حفص أبي الفداء إسماعيل بن الخطيب عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) ، الطبعة الثالثة ، دار الأندلس . بيروت ، ١٩٨١ م .
٤. تفسير الآلوسي المسمى (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار احياء التراث العربي . بيروت .

٥. تفسير البيضاوي المسمى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، ناصر الدين ابي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٧٩١ هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .
٦. تفسير الرازي المسمى (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب) ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي الرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية . طهران .
٧. تفسير الطبري المسمى (جامع البيان عن تأويل القرآن) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، الطبعة الثانية ، طبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ، ١٣٧٣ هـ . ١٩٥٤ م .
٨. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لمحمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الكتاب العربي . بيروت .
٩. جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعبد المجيد قطامش ، ط ٢ ، دار الفكر ، ١٩٨٨ م .
١٠. الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل ، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة ، علي بن نايف الشحود .
١١. الحوار الإسلامي المسيحي الفرص والتحديات ، يوسف الحسن ، المجتمع الثقافي ، أبو ظبي ، ط ١ ، ١٩٩٧ م .
١٢. الحوار الذات والآخر ، عبد الستار إبراهيم الهيتي ، ضمن سلسلة كتاب الأمة ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ، المحرم ١٤٢٥ هـ ، السنة الرابعة والعشرون ، العدد: ٩٩ .
١٣. الحوار والمناظرة في القرآن الكريم ، خليل عبد المجيد زيادة ، دار المنار .
١٤. الروض المعطار في خبر الأقطار ، لمحمد بن عبد المنعم الحَميري ، تحقيق : إحسان عباس ، ط ٢ ، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت ، ١٩٨٠ م .

١٥. الصحاح اللغة العربية والمعاجم ، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان .
١٦. صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا ، ط ٣ ، دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ م .
١٧. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٨. الفائق في غريب الحديث ، لمحمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعرفة - لبنان .
١٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار الفكر - بيروت .
٢٠. في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ط ٧ ، دار الشروق ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
٢١. القاموس المحيط ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ) ، نشر مؤسسة الحلبي وشركاؤه . القاهرة .
٢٢. كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
٢٣. لسان العرب المحيط ، لمحمد بن علي بن أحمد الأنصاري المعروف بـ (ابن منظور) (ت ٧١١ هـ) ، دار صادر . بيروت ، ١٩٥٦ م .
٢٤. المستقصى في أمثال العرب ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٩٨٧ م .
٢٥. معجم البلدان ، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر . بيروت ، ١٩٦٨ م .